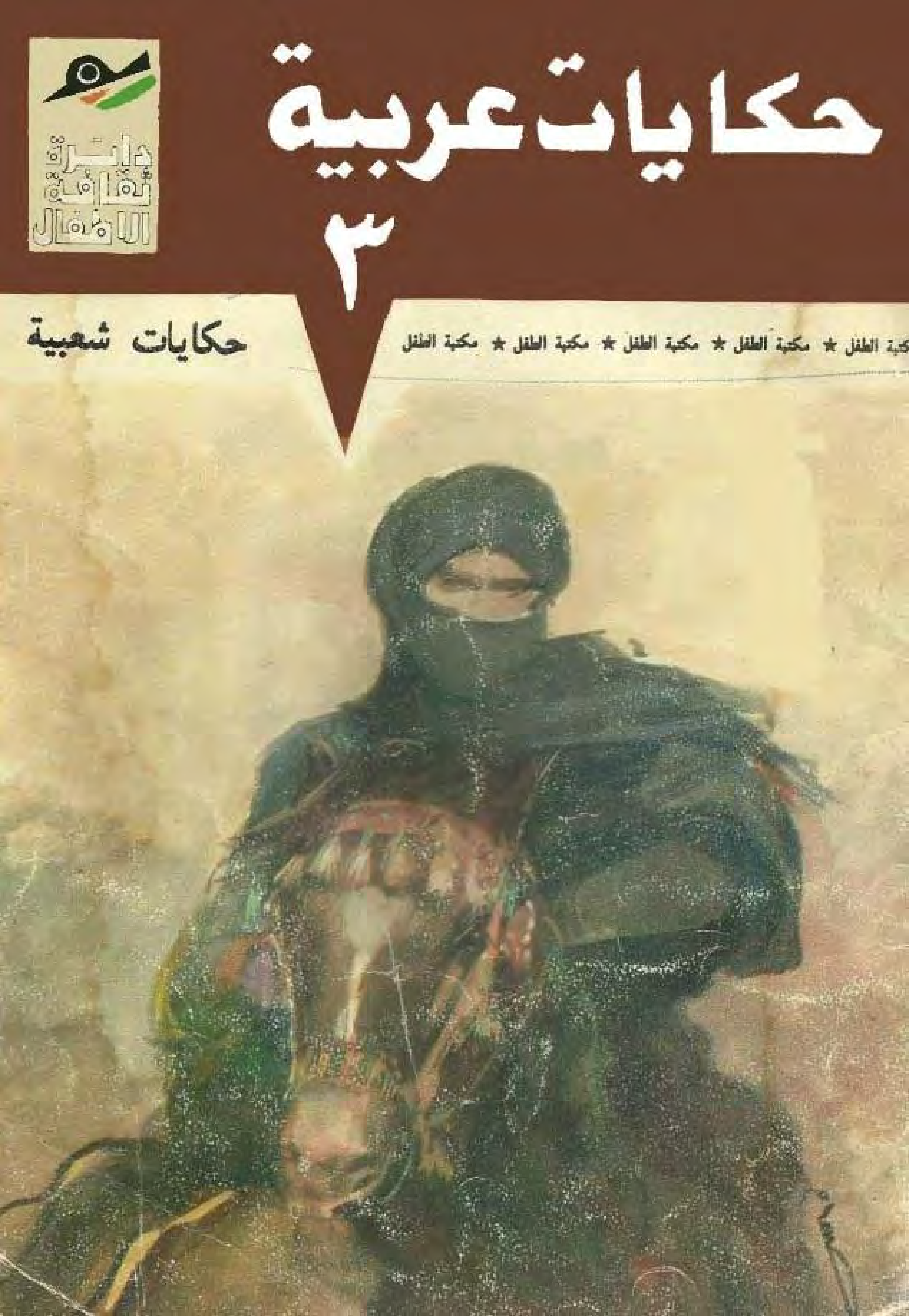

دائرة ثقافة الأطفال
حكايات عربية
٣
حكايات شعبية
مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل

مكتبة الطفل

دائرة ثقافة الأطفال . وزارة الثقافة والاعلام . الجمهورية العراقية

حكايات عربية

إعده بيان الصفدي
رسوم حسام عبدالمحسن
تصميم خليل الواسطي





حِلْم ...

الحِلم صِفَةٌ جميلةٌ في الانسان ، إنها تمنعُهُ مِنَ التسرُّعِ ، وتجعلهُ يحكمُ علَى الأمورِ بهدوء ..

ويحدثنا ماضينا العربيُّ عن نماذجَ مضيئة لأناس عُرِفوا بهذه الصِفَةِ التي قد نسمّيها أحياناً بِسعَةِ الصَدْر .

وهذه الحكايةُ تعود إلى مئات السنين .. في القرن الثاني الهجري .

فكانَ هناكَ أميرٌ عربيٌّ مشهورٌ بالحِلْم هو مَعْنُ بنُ زائدة ، وفي أحَدِ المجالِس جرى حديثٌ عن مَعْنٍ ، فكانَ الجميعُ يقولون إنّه من الصَعْبِ أنْ يستطيعَ أحَدٌ إغضابَ مَعْنِ بنِ زائدة ..

وكان في المجلس أعرابيٌّ ، فَهبَّ واقفاً وقال :

ماذا تُعطونني إذا أغضبتُ معنَ بنَ زائدة ؟

فقالوا :

نعطيكَ عشرين بَعيراً .. أمّا إذا فَشلْتَ فَتُعطينا عشرين بعيراً ..









فوافقَ الأعرابيُّ، ومضى إلى معنِ بن زائدة .. وعندما دخل على مجلسه لم يُسلِّم حَسْبَ العادة ، بل وقف وأنشدَ :

أتذكُرُ إذْ لحافُكَ جِلدُ شاةٍ

وإذْ نعلاكَ مِنْ جِلدِ البعيرِ ؟

فابتسمَ معنُ بَدلاً من أن يغضبَ ، وقال :

نعم أذكُرُ ذلكَ ، ولا أنساه .

وأرادَ الأعرابيُّ أن يُذكِّرَ مَعْناً بأنهُ قَبلَ أنْ يكونَ أميراً لَمْ يَكُنْ يعرفُ ان يستعملَ أدواتِ المُدُن .. فقال له :

فسُبحانَ الذي أعطاكَ مُلْكاً

وعلَّمكَ الجُلوسَ على السريرِ

فأجابَ معنُ بهدوء :

سبحانهُ تعالى ..

أضافَ الأعرابيُّ أنّهُ لن يُعامِلَ مَعْناً مُعامَلةَ الأمراء بالسلام فقال :

فلَستُ مُسَلِّماً ما عِشتُ دَهراً

على معنٍ بتسليمِ الأميرِ

فقال له معنُ بصوت هادىء :

يا أخا العرب .. السّلامُ خيرٌ من عدَمِ السّلام .. واذا شِئتَ فلا تُسلِّمْ .

أرادَ الأعرابي أن يقسو أكثر في كلامه ، فقال :

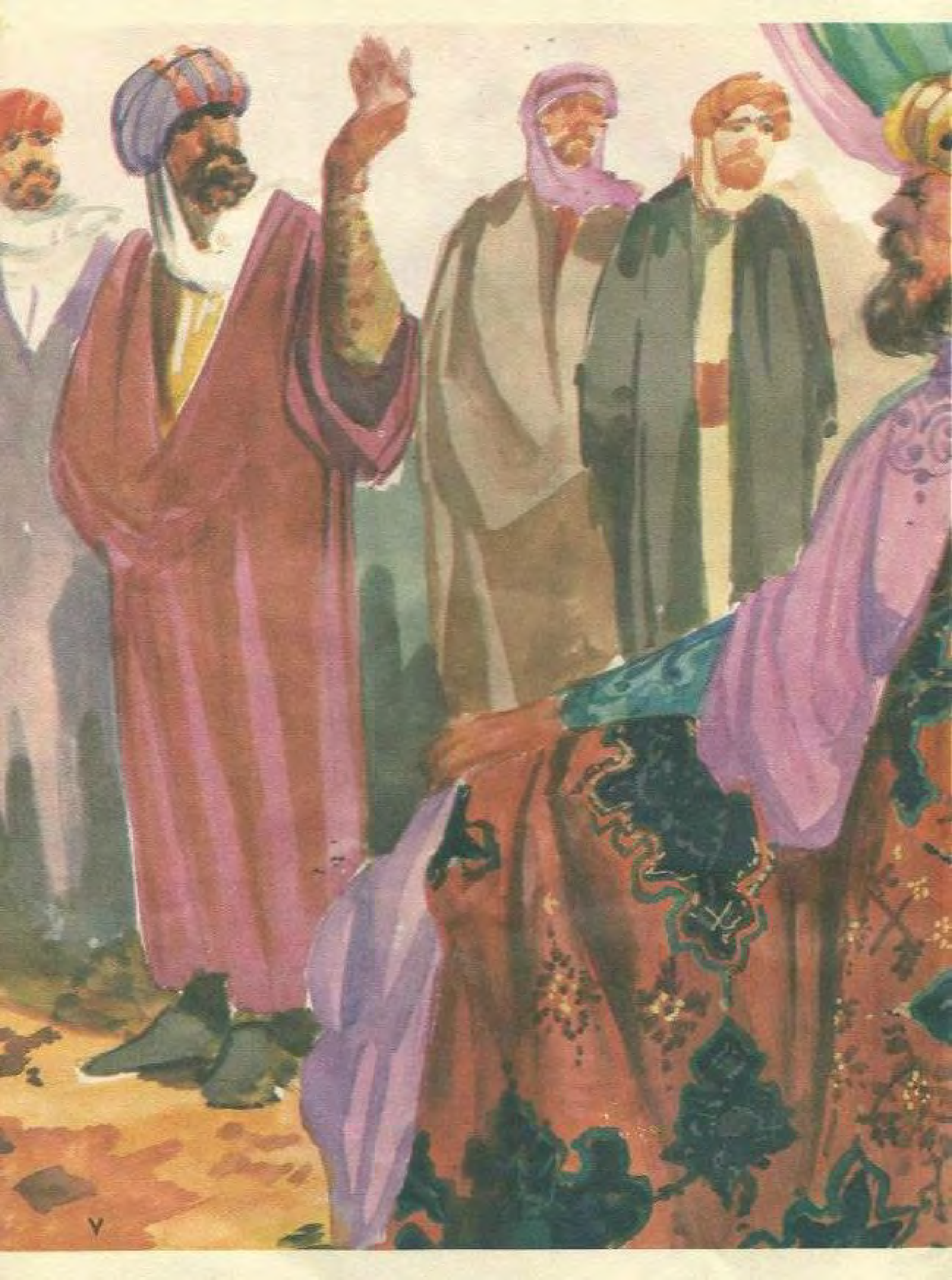
سأرْحَلُ عن بلادٍ أنتَ فيها

ولو جارَ الزّمانُ على الفقيرِ

قال معن :

إنْ جاورتَنا فرحباً بك ، وان أردت الرّحيل فلعلّ أنْ تصحبَكَ السّلامة ..

ثم أمَرَ له معنُ بمئةِ دينار ، ولكنْ الأعرابيُّ قال :



قليلٌ ما أتيتَ به وإنّي
لأطمعُ منكَ بالمالِ الكثيرِ

فقال معن :

أعطوهُ مئةً أخرى ..

وهنا لم يَبْقَ للأعرابي مجالٌ ، فقد تأكّدَ من حِلْمِ هذا الأمير العربي وسِعَةِ صدره فَخَجلَ من كلامه ، ثم أنشد :

سألتُ الله أن يُبقيكَ ذُخراً
فما لكَ في البَرِيّةِ مِنْ نَظيرِ
فمنكَ الجودُ والإفضالُ حقاً
وفَيْضُ يَدَيْكَ كالبحرِ الغزيرِ

ثم قـال :

إعلَمْ أيُّها الأميرُ أنّي تراهَنْتُ مع قومٍ ، واتفقنا أنني اذا أغضبتُكَ آخذُ منهم عشرينَ بعيراً ، وإذا لم أستطع إغضابَكَ أُعطيهم عشرين بعيراً ..

فضحكَ معنُ بن زائدة .. وأمَرَ أن يعطى الأعرابيُّ أربعينَ بعيراً، فودّعَ الأعرابيُّ مَعْناً ، وساقَ الجمالَ إلى قومه .. وهو متعجب أشدَّ العَجَبِ من حِلْم هذا الأمير العربي النبيل .







للسيفِ عندَ أجدادِنا العربِ تسمياتٌ عديدةٌ جداً . منها 'الفاروق' لأن السيف يُفرّقُ أي يقطعُ ويفصلُ بينَ الأشياء . وقد لُقّبَ الخليفةُ عُمَرُ بنُ الخطّاب بالفَاروق ، لأنّهُ كانَ يُفرّقُ بينَ الحقّ والباطل بكل ما يستطيع .

وذات يومٍ كانَ عُمَرُ بنُ الخطاب في مجلسٍ لَهُ في الجامع يقضي بين الناس ، فيعطي لأصحابِ الحقوقِ حقوقَهم ، ويَرُدُّ المظالمَ عن الناس ..

دَخَلَ شابّان المجلسَ وهُما يدفعان أحدَ الرّجال وهو حزين ، وعليهِ علاماتُ الانكسار ..

فقال عمر :

مالَكُم وهذا الرّجُل ؟

فأجابَ أحَدُ الشابّين :

يا أميرَ المؤمنين .. إنّ هذا الرَّجُلَ الذي أمامَكَ مُجْرِمٌ قَتَل أبانا قبلَ قليل ، وجئنا نَطْلُبُ منكَ أن تعاقِبهُ بما يستحق .

نَظَرَ الخليفةُ عمر الى الرجل ، وسأله :

أصحيحٌ ما يقوله هذا الشاب ؟

اجابَ الرجل بعد أنْ سَلّم على أمير المؤمنين وحيّاه :

صحيحٌ يا أميرَ المؤمنين ، لقد قتلتُ أباهما ، لكنْ هَلْ تسمح لي أنْ

أحدثك عما حَصَل ؟

قال عمر :

تفضَل .. فلن أحْكُمَ الاّ بعدَ مَعْرِفَةِ ماحَصَلَ تماماً !

فقال الرجلُ :

يا أميرَ المؤمنين ... كنتُ أسـوقُ جمالاً لي ، ومَرَرْت قُرْب بيتِ والد هذين الشابّين ، فَمَدَّ أحَدُ الجِمالِ رأسهُ الى شجرةٍ في الحديقةِ ، وأكَلَ شيئاً منها ، وإذا بوالد هذين الشابين يَضْربُ الجَمَلَ بحجَرٍ على رأسِـهِ ، فوقَعَ الجملُ ميتاً ، ومن شدَّةِ غَضـبي ، ضربتُ والدَهما بحجر فأصـابَ رأسَـهُ .. فمات ولم أكُنْ أقصدُ أنْ أقْتلَهُ ..

هذه حكايتي يا أميرَ المؤمنين .. وانا راضٍ بما تحكم به .

فَكَّرَ الخليفةُ عمرُ قليلاً ، ثم قال :

على كل حالٍ أنتَ قتلت أباهما ، وجزاءُ القـاتلِ أن يُقْتَلَ وهذا عِقـابُك العادِل .

وهنا طَلَبَ الرجلُ الحديثَ مَرَّةً أخرى ، ثم قال :

إعْلَمْ يا أميرَ المؤمنين أنني راضٍ بحُكْمِكَ العادلِ ، ولكنّي أطلُبُ السماحَ لي أنْ أذهب لمدة ثلاثةِ أيام ، فقـد أوْدَعَ عندي أحَدُ الناس مالاً لأهلِهِ ، ولا أحدَ يعرفُ مكانَ الأمانة غيري ، وعَلَيَّ أنْ أؤدي الامانة الى أهلها .. ثم أعودُ لأنالَ جزائي .

دُهِشَ الخليفـةُ عمرُ من هذا الطلب ، وكذلك تعجـب الناسُ الذين في المجلس .. ثم قالَ لهُ عمر :

إذا قَبِلَ أن يكفَلَك أحَدُ الناسِ فأنا موافق ..

نَظَرَ ذلك الرَجُلُ في الحاضرين ، ثم أشارَ الى أحَدِ الجالسين وقال :

هذا الرَجُلُ يكفلُني .

لقد وَقَعَ اختيارُ الرجـل على أبي ذَرٍ الغِفـاريّ وهو معـروفٌ باسـتقامته وطيبته .. لقد اختار ذلك الرجلُ أبا ذر دون أن يكونَ أحدُهما يعـرف الآخـر من قبل ..

هل تقبل يا أباذر أن تَكْفُلَهُ ؟

فأجابَ أبو ذر :

أَقْبلُ يا أميرَ المؤمنين ..

فَذَهَبَ الرجلُ ليؤدّي الأمانة .. وَمَرَّ يومان .. ثم جاءَ اليومُ الثالث وكانَ المَوْعِدُ في نفسِ المجلس ، وقد حضر الناسُ وبينهم أبو ذرِّ الغفاري ، والشابّان اللذان قُتِل أبوهما .. وتأخر الرجلُ عن الموعد فقال عمر :

يا أبا ذرّ .. والله ان لم يحضر ذلك الرجلُ لقَتلتُكَ بَدَلاً عنه ..

وخافَ الناسُ ، وبدأ بعضُهم يبكي ، فأبو ذرٍّ محبوبٌ جداً عندهم وما أنْ بَدَأ الخليفةُ عمر يتهيأُ لتنفيذ العقوبةِ بأبي ذر ، فاذا بأحَدِ الناسِ يصيحُ :

مهلاً يا أمير المؤمنين .. مهلاً حتى نرى من يكون ذلكَ القادمُ .. انتظرَ الجميع ، وما أن اقتربَ الرجلُ واذا بِهِ القاتل حتى أسرعَ يقولُ :

لقد أدَيْتُ الأمانةَ لأصحابها ، وجئتُ لأنالَ جَزائي العادل.فتعجَّبَ الحاضرون ، فهذا الرجلُ يحافظ على الوفاءِ حتى لو أدّى ذلك الى موته ..

وتحركت روحٌ انسانيةٌ في نفس الشابّين من وَفَاءِ ذلكَ الرُجُل ، فقال أحدُهما :

يا أميرَ المؤمنين .. لقد عَفَوْنا عن هذا الرجل .. حتى لا يقولَ قائلٌ ذهَبَت الشهامَةُ من الناس .

وأضاف أبو ذر الغفاري :

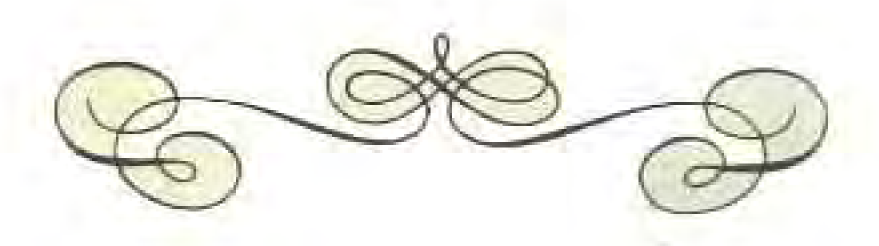
عندما أشارَ إليَّ الرجل أن أكْفُلَهُ ، واختارني من بين الناس ، قبلتُ دونَ أن أعْرِفَه ، حتى لا يقولَ قائل : ذَهَبَ الوفاءُ من الناس .

أعْجبَ الخليفةُ عمر بشهامَةِ الرجلِ والشابّينِ وأبي ذرٍّ ، وعَرَضَ على الشابين دِيةً بعدَ أن عَفا عن الرجل ، فقالا له :

من يَفْعَلْ عَملاً شهماً يجب أن يُتِمّهُ .. لقد عَفَوْنا عن الرجلِ بلا أيِّ شيءٍ مقابلَ ذلك ..

وظَلّت هذه الحادثةُ تنتقل عبر السنين ، تحملُ في طَيّاتها دروساً رائعة في الحياة ..









في العصرِ الجاهليِّ عاش حاتم الطّائي ، وهو أميرٌ من أمراءِ العرب مشهورٌ بكرَمَه ، حتى ضربوا به المثل في الجزيرة العربية حيث كان يعيش ، وحكوا عن كرمه قصصاً كثيرة .

وحكت عن حاتم زوجته ماويَةُ قصةً ، وفي تلك القصة نعرفُ مقدار كَرَم حاتم وشهامته .



قالت ماوية انه مرّتْ سنةٌ صعبةٌ على الناس ، فلم يهطل المطرُ إلا قليلاً ، ولذلك فلم ينبتْ زَرْعٌ ولا عشبٌ ، فماتت الماشيةُ ، وقلَّ الطحينُ .. وأخذَ الناسُ يبحثون عن لُقمَةٍ تسُدُّ جوعَهم .

وكان أبناءُ حاتم يبكونَ من الجوع ، وراحت أمُّهم ماويةُ تُسَلِّيهم ، وتقول لهم :

ناموا قليلاً حتى يأتي أبوكم بالطعام .

وتعبت كثيراً إلى أن نامَ الأطفال ، وهدأ الجو . وبعد قليل رأى حاتم باب الخيمة وقد انفتح قليلاً ، فقال :

من بالباب ؟

فردَّ صوتُ امرأةٍ حزينة :







أنا جارتك فلانة ، جئتُ اليكَ أطلبُ مساعدتك يا حاتم ، فقد تركتُ أطفالاً يبكونَ من الجوعَ ، وليس عندنا كِسْرَةُ خُبز .

رَدَّ حاتم عليها بحماس :

إذهبي واحملي أطفالَك الينا .

فانتعشت المرأة بهذا الكلام .. وأسرعت إلى خيمتها لتأتي بأطفالها . أما حاتم فلم يكن عنده حينذاك إلاَّ فَرَسهُ ، وهي غاليةٌ جداً عليه ، فقام الى الفَرَس ، وذَبَحها ، ثم أشعلَ ناراً وصارَ يشويها .

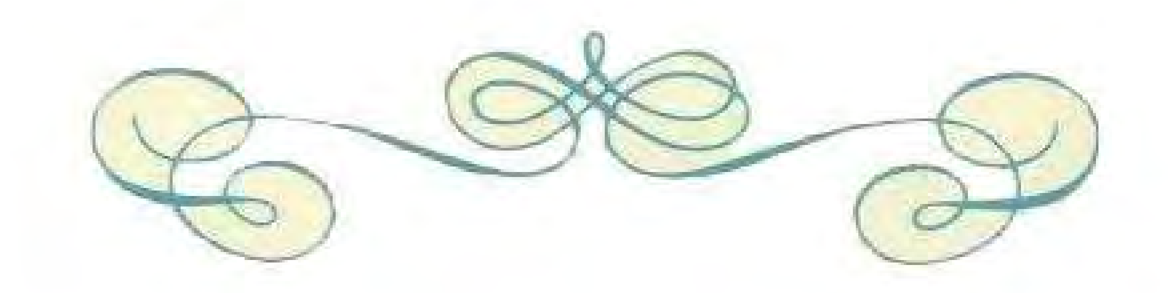
وبعد قليل جاءت الجارة وهي تحمل طفلين ، ويمشي الى جانبها أربعة أطفال ثم راح حاتم يمرُّ على الحيِّ بيتاً بيتاً .. وهو يصيحُ بأصحابها :

هُبّوا الى الطَّعام يا قوم ..

وعاد الى خيمته ، فأيقظ أطفاله ، وأخذَ الجميعُ يأكلون بعد أن اجتمع ناسٌ كثيرون .

أمّا حاتم فقد التفَّ بعباءته وهو ينظر إلى ضيوفه ، حتى لم يبق من الفرس الا العظام والجلد ، دون أن يمد يده إلى لقمة واحدة .

وتقول ماوية زوجته : ولم يكن حاتم قد ذاق الطعام من ثلاثةِ أيام .



عدالـــة

جـاء الى الخليفـةِ عمرَ رَجُـلٌ من مِصر ، وقد حَمَلَ شكواه قائلاً :

لا يَحُلُ قَضيَتي الا الفاروق عمر .. ولا يأخـذُ حق سـواه .. ولما طلب منه عمر أن يروي ما عنده ، قال الرجل المصري :

يا أميرَ المؤمنين .. أنا من عَرَبِ مِصر ، وقد قطعـتُ الجبالَ والسهولَ لأشكو إليك ما حدث معي .. فقد جرى سباقٌ بالخيل بيني وبين ابن عَمْرِو بن العـاص والي مصر واميرها ، فسبق حصـاني.ولهـذا اخـذ ابن والي مصر السّوط ، وضربَني به وهو يقول لي : أنا ابنُ الأكرمين ، وعَلِمَ عمروُ بنُ العاص بذلك ، فخاف أن أشكو اليكَ ما حدثَ معي .. فحبسني مُدّةً .. واستطعتُ أن أهرُبَ من السّجنِ وآتي اليك ..

فغضـبَ الخليفـةُ عمر ، وتأثر بكلام الرجـل ، وقام فوراً ، وكتبَ رسالةً إلى والي مصر قال فيها :

"إلى عمرو بن العاص .. احضر أنت وولدك"

وأقام المصري شـهراً في المدينة المنورة ـ عاصـمة





الخلاقة - حتى وصل عمروٌ وابنهُ ، فجمعَ الخليفـةُ عُمَرُ بينهم .

قال عمر لوالي مصر :

أصحيح أنَّ ابنك ضَرَبَ هذا الرجلَ بالسَّوْط ؟

فأجابَ والي مصر :

صحيحٌ يا أميرَ المؤمنين ..

فرمىْ عمرُ بعصاً الى المصري ، وقال له :

إضرِبْ إبن الأكرمين .

فقام المصريُّ ، وراح يضربُ ابنَ والي مصر ، حتى علا صُراخُهُ ، بينما الخليفةُ عمرُ يكرِّر قولهُ :

إضرِبْ إبنَ الأكرمين .

حتى قال المصري :

يا أميرَ المؤمنين لقد أخذتُ حَقِّي .

فأمَرهُ عمر أن يَضَعَ العصا على رأس والي مصر ، حتى يَعْلَم الجميعُ أنَّ الحقَّ فوق الناس ، ولا يُفَـرِّقُ بين كبير وصغير . وبعد ذلك التفتَ الخليفـةُ عمرُ الى والي مصر ، وقال قولته المشهورة :

متى استعبَدتُمُ الناس وقد ولَدَتْهمْ أمّها تهم أحراراً .







أمـــانة ..

الأمانةُ دليلٌ على الصدق والاخلاص ..

وقد بلغَ من أمانةِ عُمَرَ بنِ عبد العزيز أنْ حَدّثتْ عنها الكُتُبُ ، وشهدَ لها كلُّ الناس ..

وعُمَرَ بنُ عبدالعزيز خليفةٌ من العصرِ الأمَوي اشتهر بعدله وصِدْقه وأمانته مع الغريب والقريب ..

وقد حدَّث أحَدُ الذين عرَفوه حادثةَ طريفة تَدُلُّنا على تلكَ الدرجة من الأمانة .. فقال : كنتُ في يومٍ من الأيام عندَ الخليفةِ عمرَ بن عبد العزيز ، ويومَها كنتُ والياً في العراق ، فأخذَ عُمَرُ يسألني عن أحوال الرَّعيَّة وشؤون الناس ، وامتدَّ بنا الحديثُ حتى طال سَهرُنا تلكَ الليلة ، ثم اني قلتُ له :

يا حضرة الخليفة اخبرني عن حالِكَ وصحّتك .. وقبل أن يجيبني أمرَ باحضارِ شمعةٍ جديدةٍ ، وأمرَ باطفاء الشمعة التي كانت في المجلس ..

خفَتَ الضوء .. فالشمعةُ الجديدةُ كانت صغيرةً ..

ودارَ حديث بيني وبين الخليفة حول أحوالي وأحواله ثم قلت له :

ألا يخبرني الخليفةُ .. لماذا أبدلَ الشمعة ؟

فقالَ عمرُ بن عبدالعزيز :



إعلَمْ يا بُنيّ أنّهُ عندما حَدّثتُكَ وحدّثتني عن أحوالِ الناس فكنت أستخدمُ شمعةً من بيت المال ، لأن الأمرَ يخُصّ الآخرين .. أما عندَما دارَ الحديثُ حَول امورٍ تتعلّقُ بي وبك فقط فلا يجوزُ أن استخدمَ شمعةً لبيت المال في مثلِ هذا الحديث .. فأحضرتُ شمعةً من مالي الخاص ..

ولأنّ عمرَ بن عبد العزيز وَصلَ الى هذه الدرجةِ من الامانة فقد ظل اسمهُ مقروناً بالحديث الطيب .. الخالد أبد الدهر .



سعر النسخة ٥٠ فلساً
دار الحرية للطباعة - توزيع الدار الوطنية